المنهج السيميائي بين النظرية والتطبيق

The semiotic approach between theory and practice

د/ أحمد بن حسن علوش مدخلي *

جامعة جازان - المملكة العربية السعودية، amadkhaly@jazanu.edu.sa

تاريخ الارسال2022/10/01 تاريخ القبول 2022/10/19 تاريخ النشر2023/03/20

ملخص البحث بالعربية

يحاول هذا البحث النظر في المنهج السيمائي من الناحيتين النظرية والتطبيقية. ففي الناحية النظرية يسعى البحث لتقديم صورة مختصرة عن المنهج السيمائي، مفهومه، ومرجعياته، وأدواته النقدية. علاوة على ذلك، يحاول البحث تقديم نموذج تطبيقي على إحدى النصوص السردية. وأخيرًا، فالبحث يسعى لتبسيط صورة المنهج في مجال الممارسة النقدية على المنتج الإبداعي العربي بطريقة تسهل على الباحثين الاستفادة منها.

الكلمات المفتاحية: السيميائية، المنهج السيميائي، السيميولوجيا، السرد، القصة القصيرة

ملخص البحث بالانجليزية

This research attempts to consider the semiotic approach both theoretically and in practice. In theory, the research seeks to provide a brief picture of the semiotic method, its concept, references, and critical tools. Moreover, the research attempts to present an applied model to a narrative text. Finally, the research seeks to simplify the image of the curriculum in the field of critical practice on the Arab creative product in a way that makes it easier for researchers to benefit from it.

key words : Semiotics, Semiotic Approach, Semiology, Narrative, Short Story

1. مقدمة:

نستطيع القول أن مفهوم السيميائية ينبثق من مصطلح "(سيميولوجيا) بالإنكليزية (**Semiology**) وهي مشتقّة من المصطلح الإغريقي (**σημεῖον**) ومعناه الإشارة أو العلامة أو الآية وهو علم يعنى بدراسة السلوك الإنساني كأنماط ذات نتاج ثقافي منتج للمعاني. وزعموا قديماً أن السيمياء هو نوع من العقاقير يتوصل به إلى قلب الأشياء عن حقيقتها، وقد صنفها البعض كمذهب من المذاهب الفكرية، واعتبره البعض الأخر علم طلاسم يستخدمه بعض المتصوفة لكشف الحس وظهور الخوارق وهذا ما بيّنه ابن خلدون في مقدمته تحت عنوان «علم أسرار الحروف» وهو ما يسمى بالسيمياء. وراح البعض إلى أنه علم من علوم اللسانيات لمعرفة دقيقة

* المؤلف المرسل:

للمعاني والمتعلقة بالدال والمدلول من الألفاظ ولكن حديثاً عرف هذا العلم بدراسة أنظمة العلامات التي ابتكرها الإنسان كنتاج له معاني ودلالات لها علاقة بسلوكه الإنساني. تبدو الروابط بين علم العلامات (السيميوطيقا) وعلم التأويل (الهرمنيوطيقا) عميقة وضاربة الجذور، حيث قال امبرتو ايكو: «إن شيئاً ما لا يعتبر علامة إلا لأنه يؤول بوصفه علامة من قِبَل مؤوِّلٍ م»"[1].

من هذا المنطلق أجدني في هذا البحث أمام منهج كبير، يستحيل الإحاطة بكل دقائقه وتفاصيله، وحسبنا أن نعرض فيه صورة مقتضبة تمثل مدخلًا مهمًا للتعرف عليه، ومعرفة بعض مفاهيمه ومرجعيّاته وأدواته النقدية؛ ليكون هذا المدخل بمثابة مفتاح يمكن التعرف من خلاله على المنهج؛ وعليه فقد سرت في البحث في اتجاهين أرى أنهما السبيل لتحقيق أهدافه وغاياته، ففي الجزء الأول سأحاول تقديم الجانب النظري لمفهوم المنهج، وفي الجزء الآخر سأحاول الاشتباك مع النص الأدبي وفق أدوات وآليات المنهج وتطبيقاته في الدرس الأدبي محاولًا قدر الإمكان المواءمة بين التنظير والتطبيق وفق سياسة هذا البحث وأهدافه المنشودة.

... أخيرًا، أعترف أن هذا البحث ليس جديدًا في بابه، فقد سبقني الكثير من الباحثين والدارسين في هذا الحقل البحثي الثر، غير أني أرى أن السبيل في خوض غماره لا يزال مفتوحًا للبحث والدراسة؛ لعدة أسباب لعل أبرزها هو حاجة الدراسين لأبحاث من هذا النوع تجمع بين التنظير والتطبيق بصورة مبسطة تسمح لهم المشاركة مع الباحث في بناء صورة كلية عن هذا المنهج النقدي، كما أن المعالجة النقدية والتعاطي مع المنهج سيظل في اختلاف مستمر من باحث لآخر؛ نظرًا لاختلاف أدوات النقد لديهم، وامتلاك كل باحث منهم لغة وأسلوبًا مختلفًا سيسهم – بلا شك – في تلاقح الأفكار وبنائها بشكل منظم يسهم في رفد العملية التعليمية في الدرس النقدي الأدبي المعاصر.

2. أولًا: الجانب النظري.

1.2 . السيميائيات: حول المصطلح والمفهوم La Semiotique: Termes et Notions:

فصّل الكثير من الباحثين حول المصطلح والمفهوم للسيميائيات، وتؤكد معظم الدراسات اللغوية أن الأصل اللغوي لمصطلح (**semiotique**) يعود إلى العصر اليوناني، فهو آت –كما يؤكد (برنار توسان) – من الأصل اليوناني (**semeion**) الذي يعني (علامة) و(**logos**) الذي يعني (خطاب)، ...وبامتداد أكبر فكلمة (**logos**) تعني العلم، فالسيميولوجيا هي علم العلامات. وهذا الرأي يؤكد عليه أيضا باحثونا العرب، خصوصا بعد اطلاعهم على الأبحاث الغربية فهذا صاحب كتاب (السميائية الشعرية) ـ نقلا عن معجم السيميائيات ـ يقول: يتكون مصطلح سيميائية حسب صيغته الأجنبية (**semiotique**) أو (**semiotics**)من الجذرين (**semio**) و(**tique**)، إذ أن الجذر الأول الوارد في اللاتينية على صورتين (**semio**) و(**sema**) يعني إشارة أو علامة، أو ما تسمى بالفرنسية (**Signe**) وبالإنجليزية(**Signe**)، ...ويواصل الكاتب شرحه المعجمي للمصطلح، فيقول: أنه بدمج الكلمتين

(**semio**)و (**tique**) يصير معنى المصطلح (علم الإشارات) أو (علم العلامات) وهو العلم الذي اقترحه دو سوسير كمشروع مستقبلي لتعميم العلم الذي جاء به (اللسانيات)، فيكون العلم العام للإشارات، ...كذلك مصطلح (**semeiologie**) يقول بأنه: مصطلح طبي يعني علم دراسة أعراض الأمراض؛ أي دراسة الإشارات الدالة على مرض معين.

ولذا فإن كان المصطلحان الشائعان لعلم العلامات في البلاد الغربية هما الفرنسي (**semeiologie**)والإنجليزي(**semiotics**) ، فإننا لا نعدم تعددية دوالية أخرى له، ويشير (كريستال ديفيد) إذ يذكر في اللغة لإنجليزية وحدها خمسة دوال هي (**significs**, **semiotics**, **semeiology**, **seminasiology**, **semeiology**).

هذا بالنسبة للمصطلح وفوضويته، أما إذا انتقلنا إلى تعريف المعجميين له فنجد أن التعاريف كثيرة جدا، منها تعريف روبير الذي يقول:" نظرية عامة للأدلة، وسيرها داخل الفكر، كما أنها نظرية للأدلة والمعنى، وسيرها في المجتمع، وفي علم النفس تظهر الوظيفة السيميائية في القدرة على استعمال الأدلة والرموز.

أما عند العرب فتعددت أيضا المصطلحات، فيقال: (السيمياء، والسيمية، والسيميائية، والسيميوطيقا، والسيمولوجيا، والرموزية)، ويعرفها أحد الباحثين بقوله: السيميائيات هي العلم الذي يدرس الأنظمة الرمزية في كل الإشارات الدالة وكيفية هذه الدلالة.

... ويمكن الاستنتاج من كل هذه التعاريف أن السيميائيات نظرية واسعة جداً، لا يمكن الإلمام بكل جوانبها، فهي كما يقول سعيد بنكراد: (ليست سوى تساؤلات تخص الطريقة التي ينتج بها الإنسان سلوكياته؛ أي معانيه، وهي أيضا الطريقة التي يستهلك بها هذه المعاني)، وما أعقدها حين تكون كذلك!

كانت هذه أهم الآراء التي دارت حول مصطلح (السيميائيات) في بلاد الغرب، وفي بلادنا العربية، فهو ككل الأعمال العظيمة التي يكثر حولها النقاش، وتضاربت حوله الآراء، وبدرجة كبيرة في الجانب المصطلحاتي كما في الجانب المفهومي، ولا ينقص ذلك من قيمته بل على العكس، فقد ثبت للجميع أنه علم له مكانته المتميزة وسط العلوم والمناهج الأخرى، وقد اكتسب هذه المكانة بقدرته على احتضان جملة من العلوم في مظلته، وبمرونته في التعامل مع الظواهر المختلفة[2].

وبعد هذا العرض قد يتبادر للذهن هذا السؤال: **هل هي سيميائيات أم سيميولوجيا؟**

إن الفرق بين السيميائيات والسيميولوجيا هو الفرق بين الخصوصي والعمومي، فالسيميائيات تبحث في "أنظمة العلامات المختلفة كنظام اللغة والألوان والصور والرموز، أما السيميولوجيا فهي الهيكل النظري لعلم العلامات بصفة عامة ودون تخصيص لهذا النظام أو ذاك"[3].

ومن هنا فقد "تترجم التباينات الاصطلاحية دون شك عدة اختلافات ابستيمولوجية، فالاختلاف الأساسي يهم الحقل المعرفي الذي أنشاء علم العلامات، وبالنسبة للتقليد الذي طوره بورس[4] فإن المنطلق الفلسفي

هو الأصل؛ أما عند سوسير فإن اللسانيات هي المنبع"[5]؛ ومنه نجد تصورات كثيرة للسيميائيات، وفي عصرنا الحاضر هناك أربع تصورات نوجزها على النحو التالي:

- **التصور الأول**: البحث في أنساق العلامات غير اللغوية، مثل: علامات الطرقات، وفن الشعارات، ...وقد مثل هذا التصور اللسانيون الوظيفيون مثل جورج مونان.
- **التصور الثاني**: يرى أن اللغة مجموعة من المبادئ المشتركة بين اللغات وبين أنساق العلامات غير اللغوية، ومن أعلام هذا التصور هو جوليان غريماس، فاللغة هنا إذن تبحث في العلاقات السيميائية وفي البنيات الأساسية، مثل: مربع غريماس، وهو شكل قبلي لكل دلالة لفظية. (وسوف أتناول شرح المربع في القسم الأخير من هذا المقال).
- **التصور الثالث**: يتعلق بفلسفة المعنى اللفظي، أي هي الطريقة التي يتمكن العالَم بها من وضع المعنى متضمناً للعلامات، وهي النظرية الأوغسطينية التقليدية حول العلامات الطبيعية، فيمكن هنا للسيميائية أن تدرس الأمارات: فالسحابة تعني المطر خلافاً لكلمة مطر، وبالنسبة لإيكو Eco مثلاً: تستطيع السيميائيات هنا أن تكتشف وحدة هذه الطرق المؤدية إلى المعنى، ومنه تعرف العلامة بأنها: شيءٌ يعوض شيئاً آخر.
- **التصور الرابع**: يسعى إلى محو التفرقة بين العلوم، فأصحاب هذا التصور يسعون إلى توسيع إطار السيميائيات ويمددونه إلى أبعد من العالم الإنساني، تاركين بذلك مكاناً مبررا للسيميائيات الحيوانية أو ما يسمى بالزوسيميائيات، فمبحثهم يقوم على رؤية معينة هي (أن كل شيء في الوجود له طبيعة سيميائية) وهو شكل متطور لفلسفة الطبيعة[6].

باختصار فالتصور الأول يجعل السيميائيات حقلاً معرفيا وصفياً يستخدم المنهج المقارن، والتصور الثاني مفاده طرح معايير لكل العلوم الإنسانية، ويختص التصور الثالث بفلسفة المعنى اللفظي، أما التصور الأخير فيسعى لمحو التفرقة بين العلوم، مثل التفرقة بين العلوم والفلسفة.

2.2 . مرجعيات هذا العلم أو المنهج.

لا شك أن أي علم أو منهج جديد لا يولد من السماء، بل له أصول ومرجعيات ينبثق منها، وفي هذا السياق يقول أحد الباحثين: "أن السيميولوجيا مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالنموذج اللساني البنيوي الذي أرسى دعائمه وأسسه العالم السويسري فرديناند دو سوسير منذ القطعية الإبيستمولوجية التي أحدثها في ميدان الدراسات الألسنية إن جاز التعبير مع الفيلولوجيا وفقه اللغة واللسانيات التاريخية الدياكرونية، وقد جعلت هذه القطعية اللسانيات العلم الشامل والرائد الذي تستفيد منه مختلف المدارس والمشارب المعرفية.

...وعليه يمكن تحديد المرجعيات التي استندت إليها السيميولوجيا أو السيميوطيقا، على النحو الآتي:

1- الفكر اليوناني مع أفلاطون و أرسطو.

2- التراث العربي الإسلامي الوسيط (المتصوفة – نقاد البلاغة والأدب كالجاحظ، ...).
3- الفكر الفلسفي والمنطقي والتداولي (بورس، فريج، كارناب، راسيل، ...).
4- اللسانيات البنيوية والتداولية التحويلية بكل مدارسها واتجاهاتها.
5- الشكلانية الروسية ولاسيما (فلاديمير بروب) صاحب المتن الخرافي الذي انطلق منه: (غريماس، كلود بريمون) لخلق تصورهما النظري والتطبيقي إلى جانب أعلام أخرى في مجالات الشعر والأدب والسرد.

فلسفة الأشكال الرمزية مع (إرنست كاسيرر) الذي درس مجموعة من الأنظمة الرمزية التواصلية، مثل: الدين، والأسطورة، والفن، والعلم، والتاريخ[7].

3.2 . الاتجاهات السيميائية.

سأحاول في هذه الجزئية من البحث الإشارة باختصار شديد لأهم الاتجاهات السيميائية؛ لا على سبيل الحصر بل سيكتفى بذكر أبرز تلك الاتجاهات في المشهد النقدي المعاصر، ومن أبرزها:

1- **السيمياء التواصلية:** تنطلق سيمياء التواصل من الأرضية التي وضعها سوسير حين تصور إمكانية تأسيس علم عام (السيمياء) يدرس حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية، ومن هذه العلامات: أبجدية الصم والبكم والكتابة والطقوس الرمزية وآداب السلوك. وبناءً على ذلك لن تكون اللسانيات إلا فرعاً على هذا العلم العام؛ فهو يدرس جميع أنماط العلامات، لسانية كانت أم غير لسانية.
وهي "تتكون من الدال والمدلول والقصد ..وتكون القصدية فيها هي الوظيفة الدلالية التي يبحث عنها الناقد..وتعتمد سيمياء التواصل على (الإدراك، فالعلامة، فالإشارة) ..ولها محوران يحققان التواصل هما:
   أ- محور التواصل اللساني، ويعتمد على الفعل الكلامي.
   ب- محور التواصل غير الكلامي، ويعتمد على معايير ثلاثة لقياسه، وهي:
      - معيار الإشارة النسقية، المعروفة للجميع، كإشارة المربع مثلاً.
      - معيار الإشارة اللانسقية، كالدعاية والإعلان مثلاً. (الدعاية تتغير)
      - معيار الإشارة ذات العلامة، العلامة التجارية مثلاً والتي يفترض لها الثبات"[8].
2- **السيمياء الدلالية:** تنطلق أيضاً من تصورات سوسير، غير أنها تتجاوز التواصل وما يستلزمه من مقصدية لدى مستعملي العلامات، وتركز في المقابل على آليات الدلالة داخل هذه العلامات وداخل أنساقها السيميائية.
3- **السيمياء الثقافية:** يرتبط اتجاه (سيمياء الثقافة) بمجموعة من العلماء والباحثين السوفيات (المعروفين باسم جامعة موسكو – تارتو)، والإيطاليين (خصوصاً منهم روسي لاندي) كما يستفيد هذا الاتجاه

من فلسفة الأشكال الرمزية لكاسيرر ومن النظرية الماركسية ونظريات الإخبار، بالإضافة إلى استفادته من بعض تصورات اللسانيات الوظيفية؛ ولذلك فهو يعد الظاهرة الثقافية موضوعاً تواصلياً ونسقاً دلالياً يتضمن عدة أنساق (لغات طبيعية واصطناعية وفنونا وديانات وطقوساً وغير ذلك)، ولذلك فما سلوك الإنسان فيه –حسب هذا الاتجاه– إلا تواصل داخل ثقافة معينة هي التي تعطيه دلالته ومعناه.

4- **السيمياء التداولية (أو سيمياء المعنى)**: يرتبط اتجاه السيمياء التداولية بالتقليد العلمي والفلسفي الذي أرساه شارل سندرس بورس وبلوره شارل موريس فيما بعد [...] وتتميز السيمياء التداولية بتصورها الشمولي والديانمي للعلامة، إذ تعداها كياناً ثلاثياً تتفاعل داخله العناصر التركيبية والدلالية والتداولية، في إطار سيرورة دائمة تسمى (السيميوزيس Semiosis).

وتتلخص سيميائية (بورس) و(موريس) بأنها "ذات منزع منطقي.. ويدرس فيها الناقد العلامة المعزولة وليس اللغة ككل، والعلاقة بين الدال والمدلول، وعلاقة الدال بالمرسل إليه، وعملية (السميأة): وهي تحويل اللاعلامة إلى علامة .. وتختلف عن سيميائية (دي سوسير) الذي يدرس فيها الناقد اللغة ككل لا العلامة المعزولة، على أن مضمون النص يحدده معنى العلامات التي يتكون منها، وقوانين لغة النص"[9].

5- **السيميائية التحليلية**: وهي من اقتراح جوليا كريستيفا، وهي عبارة عن منطق عام للممارسات الدالة، إذ تدرس جميع مواضيع الفكر والمجتمع وتحاول الاقتراب من الخطاب الأبستمولوجي[10].

فالسيمياء التحليلية حسب كريستيفا لها وضع مزدوج، فهي (علم من بين العلوم)، وهي في نفس الوقت (نقد للعلم): فهي علم؛ لأن لها موضوعًا خاصاً هو (أنماط الدلالة وقوانينها في المجتمع والفكر)، وهي (نقد للعلم)؛ لأنها تحتفظ بمسافة نظرية تمكنها من التفكير في الخطابات العلمية التي هي جزء منها، إنها نظرية نقدية ونقد لهذه النظرية في وقت واحد، أي نقد لذاتها وللعلوم الأخرى[11].

4.2 . العناصر السيميائية التي يهتم بها الناقد السيميائي.

1- **العلامة**: وهي (علاقة الدال ـ وهو الصورة من النص ـ بالمدلول، وهو فكرة النص لما في عمل المبدع، وتكون في عقل المبدع).

2- **المِثل**: وهو فكرة علاقة المشابهة.

3- **الإشارة**: وهي الرمز الذي يحيلك إلى موضوع ما يكون هو الركيزة التي يشير إليها النص[12].

5.2 . مفاهيم سيميائية.

فمن الأهمية بمكان الحديث عن أبرز المفاهيم السيميائية التي تهم الباحثين في هذا الحقل النقدي، وبه سأختتم الجزء النظري من هذا المقال العلمي، الذي لو تُرك المجال فيه مفتوحًا لكتبت حوله مئات الصفحات، وحسبنا الإحاطة بأهم النقاط والمفاهيم بما يتناسب مع أهداف ومحددات هذا المقال العلمي، وهنا أتذكر ما قاله الدكتور سعيد يقطين في إحدى محاضراته في كلية اللغة العربية بجامعة الإمام: (بأن سبب اختلاف السيميائيات ليس في السيمياء نفسها، وإنما في فهم النقاد السيميائيين لها سواء من علماء الغرب أو العرب)؛ ومن هنا سأحاول عرض بعض المفاهيم التي اعتقد فيها النقاد أنها تشكل الحجر الأساس الذي انبنت عليه السيميائيات وتشكلت كنشاط معرفي مستقل، وهي على النحو الآتي:

1- **المحايثة immanence**: يعد مفهوم (المحايثة) من المفاهيم التي أشاعتها البنيوية في بداية الستينات، ليصبح بعد ذلك مفهوما مركزيا استنادا إليه يفهم النص وتنجز قراءاته. وأصبح (التحليل المحايث) هو كلمة السر التي يتداولها البنيويون كبضاعة مهربة تشفي من كل الأدواء. (فالتحليل المحايث) هو وحده الذي يجيب عن كل الأسئلة ويدرك كل المعاني. والمقصود بالتحليل المحايث أن النص لا ينظر إليه إلا في ذاته مفصولا عن أي شيء يوجد خارجه. والمحايثة بهذا المعنى هي عزل النص والتخلص من كل السياقات المحيطة به. فالمعنى ينتجه نص مستقل بذاته ويمتلك دلالاته في انفصال عن أي شيء آخر.

2- **السميوز semiose (السيرورة المنتجة للدلالة)**: من المعلوم أن الدلالة هي سيرورة وليست معطى جاهزا وسابقا على الفعل، فالسلوك السميائي ذاته ليس سوى خروج عن إكراهات البيولوجي والطبيعي والولوج إلى عالم ثقافي مفتوح على كل الاحتمالات. وبهذا المعنى فإن كل واقعة تستند، من أجل إنتاج دلالاتها، إلى سيرورة داخلية تجمع بين العناصر المكونة لها ضمن ترابط جدلي لا تنفصم عراه. إن هذه السيرورة هي ما يطلق عليه في السميائيات السميوز (بورس) أو الوظيفة السميائية (هالمسليف). استنادا إلى هذا التصور، فإن السميوز، أو التدليل، في تصور بورس هي (السيرورة التي يشتغل من خلالها شيء ما كعلامة)، وتستدعي ثلاثة عناصر يُنظر إليها باعتبارها الحدود التي من خلالها تستقيم السيرورة وتتحول إلى نسق يتحكم في إنتاج الدلالات وتداولها. وكمثال على ذلك فإن كلمة "شجرة" تدل لأنها تشتمل على العلاقات التالية:

1- متوالية صوتية تشتغل كتمثيل رمزي متعارف عليه عند مجموعة لغوية بعينها (المجموعة اللغوية العربية في حالة كلمة "شجرة").

2- موضوع يستند إليه التمثيل من أجل إنتاج الصور الذهنية، وهو ما يشكل أساس المعرفة، فالمعرفة التي لا تستند إلى موضوع لا يمكن أن تكون معرفة.

3 - مفهوم يحول الموضوعات إلى صور ذهنية تغنينا عن الوقائع، وتمكننا من التخلص من ربقة "الأنا" و"الهنا" و"الآن".

إن الترابط بين العناصر الثلاثة، وفق تأليفات دلالية مفتوحة على كل الاحتمالات، هو ما يشكل المضمون الحقيقي للسميوز. فالسميوز لا تقف عند حدود رصد المعنى الأولى الذي يحيل عليه التمثيل من خلال إحالته الأولى، بل تشير إلى إمكان استمرار هذه الإحالات دون انقطاع إلى ما لا نهاية.

3- المعنى sens: استنادا إلى مفهوم المحايثة يمكن تناول المعنى وتحديد مداراته. فالمعنى من المفاهيم التي تستعصي على التحديد والضبط. ورغم أن الاستعمال العادي لا يميز إلا نادرا بين المعنى والدلالة، فإن الفرق بينهما واسع وكبير. ولا عجب أن نجد (هالمسليف) وهو صاحب مدرسة قائمة الذات في التحليل الدلالي، يجعل من المعنى المادة التي تشتق منها الدلالات. وباعتباره كذلك، فإنه قريب من مفهوم "الشيء في ذاته" كما يتصوره (كانط) فبالإمكان أن نتعرف على الطاولة من حيث الامتداد والمقاومة واللون والذوق (وهي ما يحدد الشيء) ولكننا لا نستطيع التعرف على جوهر الطاولة.

4- **الدلالة signification**: تحيل الدلالة على مفهوم رئيس في تصور العلاقات بين الحدود المنتجة للقيم المضمونية وتداولها، ويتعلق الأمر بـ(السيرورة)، فلا يمكن تصور (كم معنوي) خارج مدار سيرورة تتمحور حول مفهوم العلاقة باعتبارها الحد الأساس في إنتاج أي نشاط دلالي. وعلى هذا الأساس فإن **مفهوم الدلالة** "مفهوم مركزي ينتظم حوله النشاط السميائي في مجمله". بل يمكن القول إن رصد شروط إنتاج الدلالة، هو رصد للضوابط الثقافية التي تشتغل كقوانين يتم استنادا إليها تأويل كل الوقائع.

ولأن الدلالة هي (سيرورة لإنتاج المعنى) من خلال تحويله من طابعه المادي إلى أشكال مضمونية تدرك ضمن السياقات المتنوعة، فإنها ليست مفصولة عن حقل دلالي غني بمفاهيم تشير كلها إلى طبيعة هذه السيرورة وأنماط وجودها. وهكذا استنادا إلى مفهوم الدلالة تم نحت مجموعة من المفاهيم التي تحيل على نفس النشاط منظورا إليه في حالات تحققه المتنوعة من قبيل "الوظيفة السميائية" (هالمسليف)، و"السميوز (بورس) و"الاندلال" (بارت). وكلها مفاهيم تدل – ضمن سياقاتها النظرية الخاصة– على السيرورة والشروط التي تنتج ضمنها الآثار المعنوية.

وهذا أمر بالغ الأهمية، فالسميائيات لا تبحث عن دلالات جاهزة أو معطاة بشكل سابق على الممارسة الإنسانية، إن السميائيات بحث في شروط الإنتاج والتداول والاستهلاك، مع كل ما يترتب عن ذلك من تصنيفات تطال الدلالة كما تطال السلوك الإنساني ذاته.

5- **التأويل interpretation**: إن مفهوم التأويل شديد الارتباط بالتصور الذي نملكه عن الدلالة وعن شروط وجودها وأشكال تحققها. فالمعطيات الأولية، في مجال اللسان على الأقل، تشير إلى أن الكلمة لا يمكن أن تقف عند حدود التعيين المحايد لمرجع موضوعي مستقل. فبالإضافة إلى حالة التعيين هاته، تشتمل هذه الكلمة على مجموعة من السياقات المحتملة القابلة للتحيين مع أبسط تنشيط لذاكرتها. فالمعانم (الوحدات الدلالية الصغرى) تنقسم إلى قسمين: ما يحيل على جوهر الظاهرة وأصلها (تثبيت حالة خاصة بالشيء الذي نحتت من أجله الكلمة)، وما يحيل على سياقات ضمنية هي من صلب الثقافي والذاتي أي ليست أصلية. ولعل أبسط التعابير الدالة على التأويل وضروراته هي الإجماع على القول بالتعددية الدلالية، سواء تعلق الأمر بالكلمة أو بالوقائع غير اللسانية.

وعلى هذا الأساس، إذا كان من الممكن الحديث عن وجود ثابت لكل ظاهرة، فإن الوجود الأصلي "المحايد" في كل عملية تدليل يتشكل من العناصر المحددة للماهية الوجودية للظاهرة في ذاتها، وهي العناصر التي لا يمكن التصرف فيها دون أن يؤدي ذلك إلى المساس بالجوهر المحدد لهذه للظاهرة.

6- **مستويات الدلالة levels of signification**: لقد خلصنا إلى القول في الفقرة السابقة إلى أن التأويل يشكل حاجة ضرورية تتطلبها الأبعاد المتعددة للكائن الإنساني ذاته. ولهذا يجب التعامل معه باعتباره يندرج –في السميائيات على الأقل– ضمن ما نطلق عليه "التنويع الدلالي". والتنويع الدلالي ذاته يعبر عن استقطاب ثنائي يميز الذات الإنسانية عن غيرها من الكائنات الحية. فتعريف هذه الذات يشير إلى أن الإنسان موزع في وجوده بين حاجتين: ما يعود إلى النفعي المباشر والصريح، وهو نشاط مرتبط بتلبية الحاجات الحياتية الأولية، وما يعود إلى لحظات توجد خارج النفعي، وتشير إلي المتعة واللذة وكل ما يمكن الذات من التخلص من ربقة الغريزي وإكراهات النفعي.

وهذا الاستقطاب هو ما أطلقنا عليه في الفقرة السابقة الوجود الأصلي للظاهرة، لكي نميزه عن العناصر الإضافية التي تعلق بالفعل ضمن حالات ثقافية بعينها. وهذا ما ينعكس على فعل الوصف والتعيين وكل الأنشطة المنتجة للمعاني المباشرة. فنحن نميز بين اللحظة الخاصة بالتعيين

المرجعي " المحايد"، وبين اللحظة المنتجة لدلالات إضافية تستجيب لحاجات لا علاقة لها بالجوانب النفعية والغريزية المباشرة.

7- **الرمز indication**: لعل أكثر استعمالات الرمز شيوعا هي تلك التي تستند إلى صور تناظرية تربط بين وحدات مجردة وأخرى محسوسة، تنوب فيها الثانية عن الأولى وتقوم مقامها. وفي هذه الحالة ينظر إلى الرمز باعتباره صورة دالة تستعمل للإحالة على مدلول يقابلها عن طريق العرف والتواضع (الميزان للدلالة على العدل، والحمامة للدلالة على السلام ...). ولقد أسهمت الأنثروبولوجيا المعاصرة في الكشف عن الكثير من أبعاد هذا التصور وقدرته على إجلاء الكثير من الأسرار الثقافية والحضارية الخاصة برحلة الإنسان على الأرض. فلقد أودع الإنسان، وهو يتلمس طريقه وسط غابة من الظواهر الطبيعية والاجتماعية غير المفهومة، الكثير من الأشياء قيما دلالية تكشف عن نمط حضوره في هذا الكون[13].

6.2 . توضيحات.

- **أولًا: توضيح لمعنى العلامة في السيمياء.**

إن كل علامة (**signe**) هي ذات تعبير (**expression**) ومحتوى (**contenu**) ولكل منهما شكل (**forme**) ومادة أولية (**substance**) وهذا ما يمكن تجسيمه في الرسم التالي[14]:

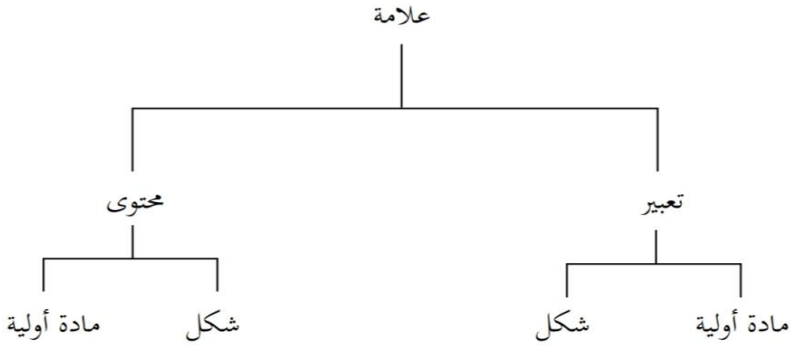

... ويسمى التقاء شكل التعبير وشكل المحتوى الوظيفة السيميائية (function semiotique) وبهذا الالتقاء تعرف العلامة، وهذا يعني أن كلاً من التعبير والمحتوى إنما يتكون من شبكة علاقات، ودراسة هذه العلاقات هي مدار السيميائية. والجدول التالي يوضح العلاقة أكثر[15]:

الحكاية {	التعبير {	المادة : السلسة الصوتية
		الشكل : النسق اللساني
	المحتوى {	المادة : المكون الدلالي
		الشكل: المكون النحوي

ويتضح نسق هذه العلاقات من خلال ما يسميه غريماس "المربع السيميائي" الذي يتحدد من خلال المعطيات التالية:

- كل وحدة دلالية = معنم، (موت) مثلاً بصفتها حضوراً للمعنى، تفرض غياباً موازياً لمعنى مضاد، أي لوحدة دلالية مضادة هي التي تحدد الوحدة الأولى (حياة).
- كل واحد من هذين الطرفين له طرف نقيض: ف (موت) يتناقض مع (لا موت)، و(حياة) يتناقض مع (لا حياة).
- يتم استنباط علاقة أخرى تفيد الاقتضاء أو الاستتباع.

- **ثانيًا: مفاهيم سيميائية.**

استطاع غريماس إيجاد أربع علاقات منطقية تصلح لاستنباط المعاني والدلالات في جميع مستويات العمل السردي، وعليها يقوم المربع العلامي، وهذه العلاقات هي:

- علاقة تضاد: انطلق فيها غريماس من تحليل (لفي شتراوس) للخطاب الأسطوري حيث ذهب إلى أن كل عنصر يستدعي ضده، فالموت يثير في الذهن الحياة، والمقدس يثير المدنس، والفقر يثير في الذهن الغنى، والجمال يثير القبح والخصب يثير العقم ... (والعكس صحيح أيضاً).
- علاقة نفي: تعني نفي وجود ضديد الشيء في الأشياء والسمات التي هي مدار تدبر.
- علاقة اقتضاء أو استتباع: أي إنَّ الشيء يقتضي ما يلائمه ويتألف معه أو يؤدي وجودُه إلى وجودِه: فالحصول على المال مثلاً يقتضي العمل لكسبه، وحب الشيء يقتضي لاوازمه.
- علاقة تناقض: أي عدم التقاء الشيء وضده في الزمان الواحد والمكان الواحد وبالمعنى الواحد، فلو قال قائل: يوجد في اليوم ليل ونهار لكان كلامه صحيحاً، ولكن لو قال: فلان بجسمه حاضر في الزمن والمكان الفلاني وغائب في نفس الزمن والمكان لكان قوله موصوما بالتناقض.

وقد صاغ غريماس هذه العلاقات في شكل مربع، ويمكن توضيحه على النحو التالي:

لدينا أربع نقاط هي:

لدينا الحياة ونرمز فيه إلى المنطلق أو مدار التدبر (أي الحياة) بحرف (أ) وإلى ما يقتضيه بحرف (أِ)، كما نرمز إلى ضده (أي الموت) بحرف (ب) و إلى ما يقتضيه أو يستدعيه بحرف (بِ)، و نرسم علاقة التضاد أفقية وعلاقة الاستتباع عمودية وعلاقة التناقض مائلة (من أعلى الأيمن إلى أسفل الأيسر و العكس، و من الأعلى الأيسر إلى الأسفل الأيمن والعكس) فيكون الحاصل على النحو الآتي[16]:

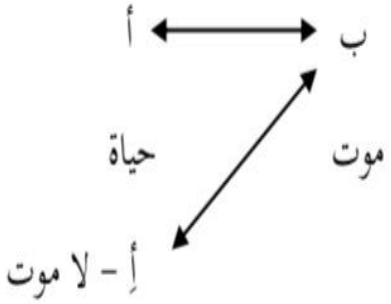

- **ثالثًا: مسارات المربع السيميائي.**

بدل اتخاذ (أ) نقطة بداية كما رأينا أعلاه يمكن أن نختار (ب) بذات الطريقة.

ب # أ، وإذا كان (ب) = موت، فإننا نحصل على أ= حياة، و أِ= لا موت، وفق الخطاطة التالية:

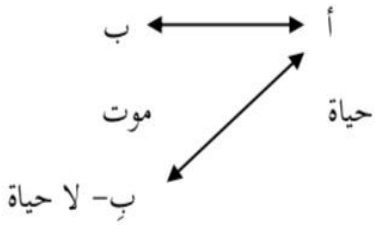

ويجوز العكس كما هو موضح أعلاه:

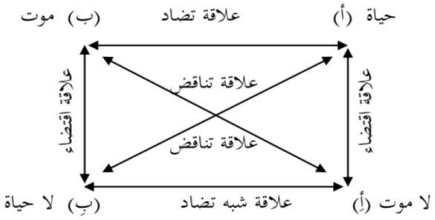

وإذا عملنا على تقاطع الخطاطتين، حصلنا على شكل ذي أربعة أطراف، وهو الذي وضحناه أعلاه سابقاً، والذي بدوره يحدد 2x2 = 4 وضعيات، و 2x3 = 6 مسارات، وتفصيل المسارات كالتالي:

- مسار اتصال وانفصال بين (أ) عكس(ب) أو (أِ) عكس(بِ)، كأن يكون في حالة اتصال بالموت وبالتالي انفصال عن الحياة، فينتقل في مسار سردي إلى حالة اتصال بالحياة وإذن انفصال عن الموت.
- مسار إقصاء أ#بِ أو ب#أِ بحيث إن كان حياً فلا يمكن أن يكون (لا حياً) في الوقت ذاته، وكذلك الموت و(لاموت).
- مسار اقتضاء، ب ==== بِ، أو أِ ==== أ، بحيث إن حالة الموت تقتضي سلفاً حالة (لا حياة) و العكس.

إن هذا الشكل بوضعياته المتعددة، ومساراته المتنوعة هو النموذج المشكل للدلالة، وهو ما دعاه غريماس بالمربع السيميائي في كتابه (الدلالة البنيوية)[17].

3 . ثانيًا: الجانب التطبيقي.

1.3 قراءة سيميائية في قصة قصيرة:

- **اسم المجموعة القصصية:** رجفة أثوابهم البيض[18].
- **اسم المؤلف:** يوسف المحيميد .
- **عنوان النص:** أسباب عديدة لسفر وحيد.

يتكون نص القصة من ثلاثة مقاطع، على النحو الآتي:

الحشرة

كانوا أربعة، وقفوا بجوار فراشي، أيقظوني بغير اسمي، فقفزت مذعورا، لم أتعرف على أي منهم، سوى الذي وقف قبالتي، إذ ابتسم لحظة أن وقعت عيناي على ملامحه، كان يشبه أبي كثيرا، لكن لحيته أكثر كثافة وبياضا، قال فيما يشبه الهمس: هيا. كانت عيناه تشيران نحوي، والنحو الدفتر ذي الورقات العشرين، وما أن لمح النوم المباغت يدلي برأسي فوق صدري، حتى أعطى الرجال معه إشارة، حملوني بعدها، ومشوا بي عبر الممر المؤدي إلى الباب الخارجي، وقد أوشكوا أن يتعثروا بجسد أمي النائمة، وجدتهم يضعونني داخل صندوق سيارة نقل حمراء، مغطى بشراع أخضر. غادر الثلاثة بعدها الفتحة الخلفية، بينما شبيه أبي يثب بقدم واحدة، معتمدا على يديه، شادا طرف حبل يجعل شراع الفتحة الخلفية مشرعا على آخره، وما أن سحبه حتى أنفرد الشراع المطوي تماما، حاجبا عن بصري بياض فجر جديد، وأخير في الوقت نفسه، إلا أن ضوء لمحه يتخلل حلقات نحاسية صغيرة، يدخل عبر إحداها الحبل من يده الخارجية، ويده الأخرى داخل الصندوق عندي، تشد الحبل، وتدخله في حلقة أخرى، وهكذا، حتى أوثق الحبل جيدا، ليخبط جانب السيارة، التي هدر محركها فورا، وظل لثوان، حاولت خلالها أن أرى ما يحدث خارجا، إلا أن السيارة تحركت ببطء، لحظت أن وجدت حلقة نحاسية فارغة، اقتربت منها ورأيت الدنيا، وصباح الحي يستيقظ بطيئا، وشبيه أبي يمسد لحيته الكثة وينفض ثيابه وسط الشارع، كان ينفضها جيدا، وكأن شيئا عالقا بها، وأكد لي ذلك الإحساس، أنه حالما فرغ من تفض ثيابه، فرك بحذائه وسط الشارع، بل انه بدأ يركل بحذائه الشارع بقوة، كمن يقتل جرثومة أو حشرة صغيرة. كنت أراقب شوارع الحي، والمدرسة، وفرّاشها إذ يخرج كرسيه عند بابها، والبيوت التي أعرفها واحدا واحداً، والعيون التي أنكرتني، ووجه أمي كبيرا يغطي الحي، ودمعتها. تراجعت إلى أقصى صندوق السيارة بعد أن اختفت ملامح الحي تماما، تكومت في الزاوية. ظللت أهجس كثيرا، واقرض أظافري، بينما البرد يخل عظامي،

صرت أتذكر الأغنية التي تغنيها أمي، حين نكون وحيدين. بدأت أغني بصوت خفيض. ما لبث أن بدا يرتفع صوتي تدريجيا، ويختلط بهدير المحرك القوي. كانت الدنيا صوتي وصوت المحرك الهادر، ولو مضى وقت قصير، صار صوتي صافيا، إذ ابتدأت قطرات مطر تدق الشراع الأخضر بهدوء، وصاحبها، فيما بعد، ريح شديدة، جعلت الشراع يصطفق في انحناءات قضبان الحديد على جانبي الصندوق وأعلاه، فصارت الدنيا أربعة، صوتي، والمحرك والريح والمطر، مما جعل صوتي يتصاعد عالياً، طرباً بأغنية السفر الطويل، حتى أخذتني إغفاءة قصيرة، استيقظت بعدها مذعوراً حد الجنون، إذ كان الصمت يخرق المكان تماماً، فما أن حركت قدمي، حتى ظهر صوت ارتطام قدمي بقاع الصندوق جليا، إذ كان المطر قد توقف، وسكنت الريح، بل إن المحرك كان خامداً أيضاً. حدقت من خلال الحلقة النحاسية، كان شارعاً لا أرى غير أوله، فالليل حلكته شديدة. تحركت نحو مقدمة الصندوق، محاولاً إزاحة شراع يغطي زجاجاً فاصلاً بيني ومقصورة القيادة. قرضت الرباط بأسناني، حتى انتزعته، فإذا المقصورة خالية من الرجال الثلاثة، وما أمام السيارة سوى ظلمة موحشة، ليس هناك أي شارع، كأن الشارع انتهى بغتة، لحظتها، بدأ صوتي واهناً يغني.

الريش

توسط السوق وتلفت طويلا، باحثا عن الباعة الآخرين وليس هناك سوى واجهات المحلات الزجاجية الأنيقة، ودهشة وجهه، وغيمات سود كثيفة تلوح في الأفق البعيد، همس لنفسه بأنه يحب الغيم والمطر، وأمه، لكنه يهمس بأنه يحب جارتهم أيضا. توارى الشاب النحيل، وعاد بأقفاص حمائمه البيض، ونواحها المتواصل يمزق هدأة الصباح، مما جعل البائع ذا الشارب الكث يهمهم: يا لله صباح خير. بينما يتثاءب بشدة، أما النحيل فكان منهمكا في تنظيف أوعية الماء البلاستيكية، وامرأة بعباءة سوداء ترف، في الذاكرة ملامحها كفراشة مرتبكة، وهي تطير ببضاعتها الخفيفة، والرجلان بعصيهما يطاردانها ركضا على الأرصفة، وفي ازدحام الممرات الضيقة سقطت، فاشتعل جلدها الأسمر، ولم يبق في مكانها سوى نعلين أصفرين، وعباءة مدعوكة، ونثار ريالات قليلة مبتلة بعرق الكف المحنّاة، كان يتذكر ذلك كل صباح، ويتذكر أيضا أنه رآها، المرأة نفسها، ذات ليال، تنتشر فوق أرصفة كثيرة، بكفها المحنّاة مفرودة من أخرها، تحفها أثواب المارة، وهم لا يعبؤون وإذ ظل يهجس شاب نحيل، وأصفر، يجلس قرب أقفاص حمائمه، منتظرا من توقفه التفاتات الحمائم، كان يهمس لنفسه، بأنه سوف يفاجأ بهما يقفان على رأسه، لن يشعر بهما، لكنه سيلمح ظل عصيهما، فيقفز قفزة واحدة، تودعه طرف السوق، سيلتفت قبل أن يلتهمه الشارع الضيق، ليشاهد سيارة نقل تغادر، بينما نواح حمائم بيضاء يخف رويدا رويداً، وغبار

يشتد في مواقف السوق، سيمشي خافضا رأسه، سيمر بجوار مطعم، وفي المطعم سيلمح رجلاً يتراءى له بأن شفتيه بعض ريش أبيض، سيبكي.

القارب

ساحة المدرسة مبتلة بالمطر، كما الصباحات الفائتة، حيث تنشر برك مطر صغيرة وسط الساحة، بينما ولد بعينين ساهرتين يجلس أعلى الدرج المطل على الساحة، خائفاً، إذ يرقب التلاميذ يديرون له ظهورهم، باتجاه صفوفهم الدراسية، كعادتهم حين يلمحونه يهم بإخراج ورقة بيضاء، كان قد طواها من قبل بعناية، هاهو يفردها الآن، وتتنقل عيناه الساهرتان بين نمنمة مضطربة، ثم يطويها بيدين مرتجفتين مرة أخرى، إلى جيب الصدر، مولياً ظهره للساحة، دالفاً إلى صفه الدراسي.

ذات ظهيرة يعقبها في العادة إجازة الأزهار والربيع، تناثر التلاميذ من خلال الممرات، والساحة، إلى الشوارع الفسيحة، والتي أفضت بهم إلى شوارع الحارات الضيقة، فأبواب المنازل الوطيئة، بينما بقي الولد ذو العينين الساهرتين في الساحة، فارداً ورقة بيضاء، لم يكن مضطربا، ولم ترتعش يداه، ولم تفتش عيناه الساهرتان عن التلاميذ في الساحة، كل ما فعله، أن بدا يثني أطراف الورقة، كي يصنع قاربا مقتربا به من بركة مطر.

2.3 قراءة النص سيميائيًّا.

قبل البدء في التحليل فإنه من حق الناقد أن يحلل، وأن يسلك تحليلاته في نسق من الرؤيا، كما هو حال الفنان تماما، والمبدع تنتهي علاقته بمليكة النص بعد الفراغ من كتابته، وحينئذٍ يصبح النص ملكًا مشاعًا للمتلقي يقلبه كيف يشاء، ويعيد النظر فيه لينظر في فجواته وفراغاته التي تركها له المنتج من أجل مشاركة المنتج في إعادة بناء وإنتاج النص من جديد، وتتكرر هذه العملية مع كل حالة قراءة واشتباك مع النص، وهذا ما سيتم العمل عليه في هذا النص السردي لمقاربته سيميائيًّا وفق أدوات المنهج الذي تحدثت عنه في الجزء الأول من هذا المقال العلمي، وتظل القراءة قابلة للنظر والتحليل والقبول والرفض لأنها تعبر عن وجهة نظر خاصة.

فإذا نظرنا للعنوان: (أسباب عديدة لسفر واحد)، لا أرى فيه ما يدعو البحث عن دلالة ما غير كلمة (السفر) فما هي دلالة السفر؟

- المحتوى:

النص هو عبارة عن حكاية لسفر واحد تعددت أسبابه، ففي المقطع الأول (الحشرة) نجد البطل يتحدث عن شيخ كبير يشبه أباه ومعه أربعة أشخاص أيقظوه وحملوه، وفي المقطع الآخر (الريش) نجد الشاب النحيل صاحب الحمائم في السوق كيف تسافر حمائمه إلى غير رجعه، وفي المقطع الثالث

(القارب) يتحدث عن سفر معنوي في رمزية يمثلها الولد والورقة التي على شكل قارب، فما هي المعطيات إذن حسب العناوين الجانبية؟

لدينا: الحشرة / الريش / القارب ===== كلها قيم تؤدي لسفر ما.

وبناءً على القيم السابقة لدينا المعطيات التالية:

- الحشرة، فيها:

م1= البطل، م2= الشيخ شبيه الأب، م3= الأربعة أشخاص الذين حملوه.

- الريش، وفيه:

م1= الشاب النحيل، م2= البائع ذا الشارب الكث، م3= امرأة بعباءة سوداء، م4= الرجلان.

- القارب، وفيه:

م1= الولد، م2= التلاميذ.

- فاعلية العلامة وتوظيفها فنيًّا:

مما لا شك فيه أن المفردات هي بمثابة الرموز التي نستنبط منها المعاني، وفي هذه القراءة نبحث في هذا النص القصصي عن دلالة الألفاظ، في محتواها المنطقي والبلاغي، ضمن ما تدلّ عليه، مباحث اللغة من خلال رصد دائرة المطابقة في بعض ما تتضمنه من دلالات الكلمة، بوصفها ذات مستويات عديدة، في البناء التركيبي للنظام اللغوي.. وجدنا أن العلامة تتشكل عنده عرفيا (الكلمة)، وأيقونيا (الصورة)، لتعطي بعد ذلك انعكاسات مختلفة: ائتلافية/اختلافية/معرفية/...، وهذه العلامات لا تعطي دلالات إلا من خلال التقاطع أو التعارض مع غيرها، وأمثلة ذلك من النص:

(دلالة كلمة السفر: الموت/النهاية/الرحيل...) ولا ينكر الإيحاء بصورها التالية: (حملوني/ مشوا بي/ وضعوني في صندوق/ دمعة أمي/ السفر الطويل/ نواح الحمائم البيضاء/ ثني أطراف الورقة...إلخ) مما ينتج عنها انعكاسات متنوعة في ذهن المتلقي/ المستهلك تتراكب ذهنيا كلما تنقل بين تفاصيل القصة؛ لنلاحظ هذا التوالي في تراكب الحدث/الدلالة: وقفوا بجوار فراشي/ أيقظوني/ يحملوني/ مشوا بي/ يضعوني داخل صندوق السيارة/ يشب شبيه أبي/ يشد الحبل/ وجدت حلقة نحاس داخل الصندوق/ اقتربت منها/ رأيت الدنيا من خلالها ...(الفقرة الأولى فقط).

مجموعة كلمات تشكل أفعالا انتهى زمنها الفعلي مع صياغة اثنين صرفيا في الزمن المضارع:

- يحملوني
- يضعوني

إن التوالي بهذا الشكل الهندسي يجعل المنحنى البياني للحدث يتصاعد شيئا فشيئا كأن الكاتب يمسك به ويسقط في ذهن المتلقي عملية الحمل، والوضع ومراقبته للحدث من خلال القطعة النحاسية والتي بدأ من خلالها المونولوج الداخلي في القصة، ودلالة ذلك استعمال كلمة (رأيت الدنيا من خلالها)، وهي جملة فعلية مكونة نحويًا من:

الفعل: رأى.

الفاعل: هو تاء المتكلم.

المفعول به: الدنيا.

ولتكثيف الحدث، عبر بضمير التكلم المتصل (هو الفاعل) وعود الضمير المتصل (ها: خلالها) في الجار والمجرور على المفعول به، وهي تملك المفعول البلاغي نفسه من حيث تعريفُها، ودلالتها على المعنى: (الإحساس بالخوف)، ولو احتكمنا إلى دي سوسير في أن العلامة تحيل إلى غيرها، ومنه فإن القواعد التوليدية والتحويلية، تحتكم إلى نظام يتم تحليله إلى المكونات الثلاث:

1- المكوّن المورفولوجي: يدخل، داخل، يدخله، ..... إلخ.

2- المكون التركيبي: كان، أكد، كأن، ... أفعال متوالية لسرد التحولات التي حدثت في النص من خلال المكون السابق.

3- المكون الدلالي: الإحساس بالخوف والاضطراب، وهي الدلالة التي استقينها من جملة "رأيت الدنيا من خلالها".

و بعد ذلك نأتي للبحث عن جملة الأسئلة التي يثيرها النص، فإن السؤال الأساس الذي نريده أن يحرك التراكم المعرفي، للخلفية الفكرية للمنتج، هو: ما علاقة المنتَج بالمنتوج؟

كنّا في التقديم ذكرنا دلالات (السفر) فإن المنطق السليم يحيلنا على أن المنتِج:

- يفكر فنيا، بما يفكر به البسطاء من أفراد المجتمع.
- صاحب ثقافة متشربة بتأوهات الطبقة الكادحة.
- التعبير بصدق وبتفاصيل عن حاجات الفقراء والبسطاء: شبيه أبي/ صندوق سيارة ذات شراع/ بائع الحمائم/ امرأة بعباءة سوداء/ الولد وحقل ماء المطر والورقة التي هي صنعت كقارب أو مركب.
- النزول الفكري إلى المستويات البسيطة، والتعامل معها أفقيا، لا عموديا، حتى يصل بالنص إلى الإجابة عن السؤال الآخر: ماذا قال المنتج؟

إن طبيعة القراءة الواعية لهذا النص تمنحنا القدرة على تنوير الموجود أمامنا كمجموعة أيقونات، والكشف عن مكنوناته، وفق ربط محكم بين أطرافه (غير القابلة للتفكك كما يراه جاك

دريدا)، أو التجزئة (هنا الدراسة ليست تفتيتية أو نووية)، فهذه القراءة الواعية التأويلية تنتج لنا نصا، يكون الدافع الكبير للأصل على الاستشراف: القراءة التأويلية تحيل إلى قراءة منتجة تحيل إلى خطاب إقناع، وهذا الفهم من حيث هو يتجاوز حدود الاحتمال إلى اليقين، أو القطع بالحكم.

وعليه فإن ما ذهب إليه النص كان: ضرورة إزالة الشك باليقين، وعدم بناء الأحكام مسبقا، وإبعاد السفر (مفهوميا) عن التصور المباشر في التعامل مع قضايا ذات حساسية (قضية التسلط من الكبير على الصغير) في موقف حساس (السفر) مع طبقة بسيطة في المجتمع يعيشون على (سيارة ذات صندوق أحمر وذات شراع أخضر)، ومنه فالـ(الأحمر) دلالة على الاضطهاد والظلم، والـ (الأخضر) دلالة على البراءة التي أحرقها الأحمر المضطهد (الفقرة الأولى فقط / الحشرة).

الأبعاد الأخلاقية للقصة:

من داخلها يمكننا أن نربط أخلاقيا بين الدال والمدلول (طبيعة العلامة المزدوجة: صورة سمعية أو بصرية+صورة ذهنية) من خلال علامات كثيرة:

- ومشوا بي عبر الممر المؤدي إلى الباب الخارجي= الممر المكان السري للخروج لمن يفعل جريمة مثلاً.
- وقد أوشكوا أن يتعثروا بجسد أمي النائمة= دلالة على الهجوم دون إذن للمنزل وبشاعة الجرم.
- وجدتهم يضعونني داخل صندوق سيارة نقل حمراء= دافع الجريمة الفقر والدلالة ضعف الممتلكات.
- مغطى بشراع أخضر= دلالة على الستر والتغطية.
- غادر الثلاثة بعدها الفتحة الخلفية= رمز للجريمة، وفيها اضطهاد.
- بينما شبيه أبي يشب بقدم واحدة= السرعة في عمل الجرم.
- معتمدا على يديه=مؤكد لما قبله.
- شادا طرف حبل يجعل شراع الفتحة الخلفية مشرعا على آخره= تصوير رمزي للجرم.
- وما أن سحبه حتى أنفرد الشراع المطوي تماما= تابع للتصوير.
- حاجبا عن بصري بياض فجر جديد = الأثر النفسي على المفعول به في المستقبل.

ماهي دلالات الجملة؟

اخترت هذا المقطع من النص الأول فقط للتركيز على جزئية بسيطة وهي أن الفقر يدفع الإنسان لفعل أي جريمة كان حتى لو كانت غير أخلاقية، والسبب في ذلك الفراغ وعدم الكسب وقلة الوازع الديني عند بعضهم والاستسلام لما تمليه نفسه الأمارة، ومنه فقد رأيت أن الكاتب استطاع أن يوصل رسالته للمستقبل بصورة رمزية جميلة، وتتمثل حسب مربع غريماس كالتالي:

- المرسل: المؤلف.
- الرسالة: حال واقع مجتمع أو طبقة معينة.
- العامل المساعد: النص ومضامينه.
- العامل المعيق: أحداث النص المرتبطة بمقصديات (السفر) الدلالية.

(هوامش البحث)

(1) موسوعة ويكيبيديا، 2021م، مصطلح السيميولوجيا، على الرابط:
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B3%D9%8A%D9%85%D9%8A%D9%88%D9%84%D9%88%D8%AC%D9%8A%D8%A7

(2) يُنظر (بتصرف): فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، بيروت، 1431/2010م، ص 11-12.

(3) د.سيد نفادي، السيميوطيقا وعلاقتها بالفلسفة والعلم عند كارناب، عالم الفكر، المجلد 31، العدد 1، 2002م، ص47.

(4) يرتبط تقليد بورس بتصنيف العلامات وبالتحديد الصوري لعلاقاتها، و بمنح الامتياز للغات الصورية، كما يدرس انطلاقا من نظريات العلامات المقولات الأساسية التي تعنى بدراسة اللغات. (المرجع السابق، ص77).

(5) فرانسوا راستيي، فنون النص و علومه، ترجمة: ادريس الخطاب، دار توبقال للنشر، ط1، المغرب،2010م، ص77.

(6) يُنظر (بتصرف): المرجع السابق، ص 78-79.

(7) يُنظر: جميل حمداوي، مناهج النقد العربي الحديث والمعاصر، إصدارات نادي القصيم الأدبي، ط1، السعودية، 1430هـ، ص 132-133.

(8) عماد علي الخطيب، في الأدب الحديث ونقده (عرض وتوثيق وتطبيق)، دار المسيرة، ط1، الأردن، 1430هـ/2009م، ص 297.

(9) المرجع السابق، ص 298.

(10) الابستمولوجيا: هي نظرية إنتاج خصوصية المفاهيم وتكون نظريات كل علم ومعرفة، والابستمولوجيا: تحليل/افتراضات/طرق/نتائج .(سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، ط1، بيروت، 1405هـ/1985م، ص 27).

(11) يُنظر (بتصرف): عبد الواحد المرابط، السيمياء العامة وسيمياء الأدب من أجل تصور شامل، الدار العربية للعلوم، ط1، بيروت، 1431هـ/2010م، ص 65-93.

(12) يُنظر: عماد علي الخطيب، في الأدب الحديث و نقده (عرض و توثيق و تطبيق)، مرجع سابق، ص 297.

(13) نُقلت هذه المفاهيم (بتصرف) من: سعيد بنكراد، السيميائيات (مفاهيمها و تطبيقاتها)، منشورات الزمن، ط1، الرباط، 2003م، ص 164-182.

(14) يُنظر: الصادق قسومة، علم السرد، طباعة عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام، ط 1، السعودية، 1430هـ/2009م، ص588.

(15) عبد الواحد المرابط، السيمياء العامة وسيمياء الأدب من أجل تصور شامل، مرجع سابق، ص 154.

(16) يُنظر: الصادق قسومة، علم السرد، مرجع سابق، ص 620.

(17) يُنظر: نصر الدين بن غنيسة، فصول في السيميائيات، عالم الكتب الحديث، ط1، الأردن، 1432هـ/2011م، ص57-59.

(18) يوسف المحيميد، قصة قصيرة بعنوان: (أسباب عديدة لسفر وحيد)، ضمن مجموعة المؤلف القصصية (رجفة أنواهم البيض)، النص في موقع المؤلف الرسمي عبر الرابط: https://al-11mohaimeed.net/?cat=

(قائمة المراجع)

1) جميل حمداوي، مناهج النقد العربي الحديث والمعاصر، إصدارات نادي القصيم الأدبي، ط1، السعودية، 1430هـ.
2) سعيد بنكراد، السيميائيات (مفاهيمها وتطبيقاتها)، منشورات الزمن، ط1، الرباط، 2003م.
3) سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، ط1، بيروت، 1405هـ/1985م.
4) سيد نفادي، السيميوطيقا وعلاقتها بالفلسفة والعلم عند كارناب، عالم الفكر، المجلد 31، العدد 1، 2002م.
5) الصادق قسومة، علم السرد، طباعة عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام، ط 1، السعودية، 1430هـ/2009م.
6) عبد الواحد المرابط، السيمياء العامة وسيمياء الأدب من أجل تصور شامل، الدار العربية للعلوم، ط1، بيروت، 1431هـ/2010م.
7) عماد علي الخطيب، في الأدب الحديث ونقده (عرض وتوثيق وتطبيق)، دار المسيرة، ط1، الأردن، 1430هـ/2009م.
8) فرانسوا راستيي، فنون النص و علومه، ترجمة: ادريس الخطاب، دار توبقال للنشر، ط1، المغرب،2010م.
9) فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، بيروت، 1431/2010م.
10) موسوعة ويكيبيديا، 2021م، مصطلح السيميولوجيا، على الرابط: https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B3%D9%8A%D9%85%D9%8A%D9%88%D9%84%D9%88%D8%AC%D9%8A%D8%A7
11) نصر الدين بن غنيسة، فصول في السيميائيات، عالم الكتب الحديث، ط1، الأردن، 1432هـ/2011م.
12) يوسف المحيميد، قصة قصيرة بعنوان: (أسباب عديدة لسفر وحيد)، ضمن مجموعة المؤلف القصصية (رجفة أثوابهم البيض)، النص في موقع المؤلف الرسمي عبر الرابط: 11https://al-mohaimeed.net/?cat=